التضحية باستقلال البحث اللغوي [1] . وهو أمر يدل على عدم معرفته بدور هذين العلمين في ترسيخ استقلال المنهج اللغوي أو لعلّه يدلّ على انتماء ضيّق لمدرسة لسانية أوقعه سجالها مع المدارس الأخرى في هذا القول.

ولعل أهمّ ما ننقده به أنه لا يتبيّن موقع ما أخذه وما عقله من مسار العلم ولا يتبيّن نسبيّته فنلفيه يعتبر أن المنهج الوصفي واحد. قال بذلك في الصفحة 7 من العربية معناها ومبناها «أول عهدي بفكرة هذا البحث عند ظهور كتابي مناهج البحث في اللغة فقد جاء ذلك الكتاب في حينه ليقدم إلى القارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي وليعرض هذا عرضا مفصلا». ويضيف في الصفحة العاشرة من المقدمة نفسها «الغاية التي أسعى إليها أن ألقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة». وهذا قول يوهم بأن اللسانيات رغم تعدد أعلامها واختلاف المجتمعات التي ازدهرت فيها ظروفا تاريخيه وأوضاعا سياسية تمثّل وحدة متجانسة متماثلة وهي دعوى غير صحيحة على هذا الشكل من الصياغة على الأقل.

2 - النقطة الثانية "كيفية إعماله المفاهيم اللسانية في التراث النحوي ومدى توفيقه في تقييمه ونقده"

إن الهنات التي رأيناها في كيفيّة تقبّل تمام حسان لعلم اللسانيات وتمثّله إياه سوف تنعكس على قراءته للتراث وتعمل فيه عملها وتتضاعف سلبياتها. وذلك حاصل لأن إعمال المفاهيم اللسانية في التراث أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حد ذاتها و إدراكها في مصادرها أو نشرها بلسان غير اللسان الذي اكتشفت فيه. أوقل إن إعمالها في سياق حضاري غير السياق الذي نشأت فيه يمثل مستوى من الفهم والامتلاك أرقى من الفهم الأول. وهو في صعوبته يكاد يضاهي صعوبة ابتكارها من أصلها لأنه يقتضي من الباحث إدراكا لحقائق العلم في

1 المرجع نفسه ص 37 : «وكما كان بلومفيلد تابعا لمذهب وايس السلوكي كان دي سوسير تابعا لمذهب دوركايم الاجتماعي التركيبي وفي كلتا الحالتين تستعير اللغة طريقتها من منهج غريب عنها مع التضحية باستقلالها في المنهج.»